

سبل تعزيز الوحدة الوطنية في العراق

المدرس المساعد مروة حسام محمد

الجامعة العراقية/ قسم شؤون الدراسات العليا

Ways to strengthen national unity in Iraq

Marwa Hussam Mohamed

Marwa.h.mohamed@aliraqia.edu.iq

Abstract

Through this research , we arrive at a way to build national unity amidst the unified minorities and sects in Iraq ,This is achieved without any discrimination or distinction as national unity is one of the pillars and foundations of society and a sufficient reason for its strength and development. This unity is national spirit and igniting the desire for unity , all for the sake of the nations interest. we strive to build a new Iraq and establish a unified national state , free from pluralism and fragmentation in order to keep pace with progress , prosperity, and advancement , and to build Iraqi national unity Keywords: Concepts of national unity and minorities , Political culture and national unity, Iraqi national unity and aspirations.

المستخلص:

من خلال هذا البحث نتوصل الى كيفية بناء وحدة وطنية في ظل الاقليات والطوائف المتعددة الموجودة في العراق , حيث تتم بعيداً عن اي اختلاف او تمييز فأنها احدى ركائز ومقومات المجتمع وسبباً كافياً لقوته وتطوره وهذا الشيء كفيل بتوليد الروح الوطنية واشعال الرغبة في الاتحاد وكل ذلك في سبيل مصلحة الوطن, ونسعى الى بناء عراق جديد وقيام دولة وطنية موحدة خالية من التعدد والتشتت وذلك من اجل مواكبة التقدم والازدهار والنهوض من اجل بناء وحدة وطنية عراقية.الكلمات المفتاحية: مفاهيم الوحدة الوطنية والاقليات, تنمية الثقافة السياسية , الوحدة الوطنية العراقية والتطلعات.

المقدمة:

ان بناء الوحدة الوطنية الشاملة تحققت في المجتمعات المتقدمة عبر قرون مضت في سياق متصل من التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي , بحيث اصبحت الوحدة الوطنية تسيطر على الوحدات الفرعية في تلك المجتمعات , وبات الولاء الى الوحدة اليها يهيمن على الولاءات الفرعية ولم يكن ثمة تناقض بين الانتماءات الفرعية والانتماء الوطني. اما في بلدان العالم الثالث التي خضعت الى سيطرة استعمارية وانشاءت سياسة متعاقبة , التي اعاقت الاولى تطورها الاجتماعي والاقتصادي , ولم تستطع الثانية من استيعاب حالة التنوع المجتمعي فيها. مما اعاق العملية السياسية التي لم تستطع اللحاق بالاندماج بالتقدم الحضاري والعالمي , لذا بدأت وحدة الشعوب الاجتماعية في هذه المنطقة بالتفتت وخلقت فيها عوامل التمزيق والتخلف وتضاءلت الى حد كبير سمات هويتها الوطنية.

اولاً: مشكلة الدراسة:

ان الاقليات بتباينها القومي واللغوي والثقافي فضلاً عن متغيرات الصراع السياسي والظروف التي مرت بها, اوضاع الحكومات المتوالية واخفاقها عن ايجاد حلول علمية , جعلت منها اشكالية تحقيق الوحدة الوطنية.

ثانياً: اهداف الدراسة:

- 1- التعرف على مفهوم الوحدة الوطنية.
- 2- تسليط الضوء على ايجاد صيغة توفيقية لوحدة وطنية تجمع اطراف المجتمع العراقي كافة في ظل دولة مؤسسات يحكمها القانون.

ثالثاً: اسئلة الدراسة:

١- ماهو مفهوم الوحدة الوطنية؟

٢- كيفية بناء وحدة وطنية في مجتمع متعدد الطوائف؟

رابعاً: منهج الدراسة:

تم الاعتماد على المنهج التاريخي الوصفي لدراسة ظاهرة الاقليات ورصدها تاريخياً الذي يكشف واقع الاقليات وتعايشهم في العراق المعاصر.

خامساً: خطة الدراسة:

المبحث الاول : مفهوم الوحدة الوطنية المطلوب الاول : مفهوم الاقليات المطلوب الثاني: الوحدة الوطنية والاقليات. المبحث الثاني: تنمية الثقافة السياسية واثرها في الوحدة الوطنية المطلوب الاول: معنى الثقافة السياسية المطلوب الثاني: تعزيز الوحدة الوطنية بين الفيدرالية والمركزية. المبحث الثالث: الوحدة الوطنية العراقية والتطلعات المطلوب الاول : نموذج مقترح لتحقيق الوحدة الوطنية العراقية المطلوب الثاني: الوحدة الوطنية العراقية الواقع والافاق.الخاتمة

المبحث الاول: مفهوم الوحدة الوطنية:

عند الحديث عن مفهوم الوحدة الوطنية لابد تحديد مفهوم الوحدة بشكل عام حيث يشكل هذا المفهوم امراً ليس سهلاً خاصة في الفقه السياسي اذ لا يوجد تعريف جامع لمفهوم الوحدة , او الوحدة السياسية فيرى بعض فقهاء السياسة انها تعني "الضم الهيكلي لمجموعة من الوحدات السياسية التي تمتلك كل منها استقلالها الكلي او الجزئي لتشكل دولة واحدة تمتلك ارادة واحدة على النطاق الدولي." (الدوري, ١٩٨٥, ١٠) والوحدة القائمة على اساس رضائي وبالاتفاق تكون غالباً هي التي تدوم وتحقق اهدافها, ولابد ان يتحدد شكل الوحدة بصورة دستورية او قانونية تحكم صيغة العملية الوحدوية ولابد من توفر شعور لدى ابناء تلك الوحدة الاندماجية بالانتماء الى بقعة الارض الذين ينتمون اليها. وان الوطنية بمعناها العام مأخوذ من الوطن وتعني حب الوطن والشعور بأرتباط قلبي عميق نحوه , والتعلق به عملياً وفكرياً وعاطفياً.(احمد, ٢٠٠٥, ١٤٣)

المطلب الاول: مفهوم الاقليات:

لقد احتل موضوع الاقليات في السنوات الاخيرة خصوصاً في العراق اهمية استثنائية على صعيد اكثر دول العالم , ولاسيما التي يتكون سكانها من عدة قوميات وشكل هذا الموضوع قضايا ساخنة تمس صميم امن تلك الدول واستقرارها , بعد ان اخذ البعد القومي او العرقي او الديني او الثقافي مداه لكثير من الاقليات نتيجة عوامل داخلية ومؤثرات خارجية. "(الدليمي, ٢٠٠٤, ٣٩) ان كلمة الاقلية تتضمنها مفردات اللغة وتستخدم كتعبير عن الاستثناء والجزئية او مباينة الغالب والكثرة , فتشير معاجم اللغة الى مادة قل والتي اشتقت منها كلمة الاقلية بأن قل القلة هي خلاف الكثرة وقوم قليلون اقلاء , ويكون ذلك في قلة العدد". وبالدلالة اللغوية التي اشتقت منها كلمة اقلية فأنا نلاحظ استخدام الكلمة للتعبير عن دلالة كمية تقابل الاكثر. وان مصطلح الاقلية الذي يعني جماعة من الجنس او العرق الواحد الذي يعيشون في منطقة معينة ويختلفون اختلافاً بيناً عن اغلبيّة السكان وقد تكون مثلاً اقليات عنصرية او عرقية او قومية او لغوية , نقول ان المصطلح الشائع الذي اطلق للدلالة على المجموعات التي تشترك في رابطة او اكثر والمتداخلة في المجتمعات الاصلية الاوسع منها , ويخالف ما يؤكد كل تجمع انساني يعمل بكل ما لديه من جهد ان لا يثير التجمعات الاخرى ضده بغض النظر عن الروابط التي تشده , حيث ان مصلحته ان يتحقق التعاون والانسجام بينه وبين التجمعات الانسانية الاخرى لاسيما المتعايشة معه في اطار الدولة التي تمثل هويته السياسية".(جواد, ١٩٨٨, ٤٠) ومن وجهه النظر الاكاديمية المجردة ان تسمية (اقلية) تنطوي على نوع من التجاهل للآخرين ويقسم المجتمع الى اكثرية واقلية ويجعل الاقلية تشعر بنوع من النظرة الدونية اليها مما يجعلها تتمسك بأنعزاليتها وعدم اندماجها في المجتمع نتيجة ذلك الاحساس الخاطي بأنها مواطن من الدرجة الثانية" والاقلية هي ليست الجماعة المتدنية النسبة عددياً بل هي التي لا تستطيع التفاعل مع المجتمع وتتفصل ارادياً بفعل ظلم الاكثرية المحيطة بها , والمجتمعات لا تنقسم الى اكثرية او اقلية مالم توجد فيها مجموعات ترفض الانسجام مع محيطها او مجموعات مرفوض اندماجها ومشاركتها في الممارسة الوطنية , لاسباب اثنية ودينية وسياسية.(احمد, ٢٠٠٥, ٨٨) ان مشاكل الاقليات في العالم العربي ولاسيما في العراق تعود الى سوء الاوضاع السياسية والاقتصادية في هذه الدول اساساً , اذ تتدنّى حقوق الانسان وتنتهك بفعل غياب الديمقراطية والمؤسسات التي تضمن التمتع بتلك الحقوق فضلاً عن العوامل الخارجية وتأثيراتها , المتمثلة بالقوى العالمية والاقليمية التي تجد في هذه الاقليات موضوعاً قابلاً للاستثمار ويمكن الاستفادة منها كلما دعت الحاجة الى ذلك , سواء عن طريق التدخل في الشؤون الداخلية لتلك الدول او الضغط عليها لاجبارها على تغيير سياستها او اضعافها وتجزئتها وان اغلبيّة الاقليات في

العالم الثالث ومنها العراق قابلة للحل , اذا ماتوفرت الشروط اللازمة لذلك والارادات الوطنية لحلها قبل ان تستعصي وتصبح قضية لايسمح التفاوض بها او غير قابلة للحل الوطني.

المطلب الثاني: الوحدة الوطنية والاقليات

ان اشكالية الوحدة الوطنية في العراق يعد انهيار النظام السياسي السابق في التاسع من نيسان ٢٠٠٣ , وتتداخل فيها عوامل شائكة ومعقدة لكن ينبغي ان نقر حقيقة اساسية , وهي ان العراق مجتمع متجانس حضارياً وتاريخياً والعراق كوحدة جغرافية جزء من الامة العربية التي لها اهميتها الاستراتيجية , فضلاً عن الموارد النفطية والمعدنية.(الدليمي,٢٠٠٤,٥٢) وبالرغم من ان انتماء الجماعة الوطنية في العراق لم يكونوا جماعة سياسية واحدة في مطلع القرن العشرين وهذا لا يعني الاشارة فقط الى وجود الكثير من الاقليات العرقية والدينية كالاكراد والتركمان والاشوريين والارمن واخرين فالعرب انفسهم الذين يؤلفون اكثرية سكان العراق كانوا يشكلون الى حد بعيد جملة من المجتمعات المتميزة والمختلفة فيما بينها والمنغلفة على الذات بالرغم من تمتعهم بسمات مشتركة.(غليون,١٩٨٩,١٤) ان المجتمع العراقي هو مجتمع قوميات وان العراق لا يمتلك عناصر الوحدة الوطنية المثالية فهذه حقيقة قلما تخلو منها دولة من الدول الحديثة , ولكن الخطورة تكمن في عدم الايمان او الولاء للمجتمع العام او عدم التعلق بالانتماء المشترك للوطن المعبر عنها بالدولة , اي تقهت الولاء المركزي الى انتماءات او ولايات فرعية محلية عرقية او قبلية وتوزعه في ضمن اطر ضيقة من القوميات والاقاليم وفي نزعة الانفصال عن الدولة وعدم الاندماج في مجتمع الدولة وعدم تحقيق الوحدة الوطنية التي تعد شرطاً اساسياً لكل استقرار ونظام سياسي.(البغدادى,١٩٩٠,٧٥) ويمكن القول ان الانتباه الى هذه الحالة امراً في غاية الضرورة في ظرف شاذ كالذي يمر به العراق والذي يمكن النفاذ من خلاله الوصول الى اهداف المحتلين , حيث يمكن بكل سهولة اختراق الاقلية المنتصرة فتكون بدورها شرطاً في جدار الوحدة الوطنية او بصورة ادق تكون اداة طيعة في يد القوى الخارجية المعادية ويمكن ان تكون هذه الحقيقة اخطر كلما شعرت الاقلية بالبعد عن روح ومفاهيم الوحدة الوطنية حيث كانت الاقليات ولا تزال المنفذ التي دخلت منه الافكار السياسية الخارجية وفي بعض الاحيان كانت المصدر الذي تستقي منه الجهات الخارجية المعادية كل معلوماتها واخبارها التي تتحرك بموجبها ضد الامن القومي للدولة المعنية.(الدوري,١٩٨٥,١٠) ومما لاشك فيه ان "تحقيق الوحدة في مجتمع متعدد القوميات بحاجة الى صياغة ميثاق وطني ينص على ضرورة حل المشاكل والخلافات بالحوار السلمي وبمشاركته جميع الاطراف العراقية في كل المجالات وحول اي قضية تخص العراق مع ضرورة مشاركة ممثلين من كل القوميات عندما يتعلق الامر بالخصوصيات القومية ودراسة الاشكاليات ان وجدت للبحث عن حلول مناسبة تمهيداً لتثبيت حقوق كل الاطراف بشكل عادل وفق اسس وثوابت تقوم عليها الوحدة الوطنية منها الهوية والشراكة والقيم الانسانية".(احمد,٢٠٠٥,١٥٧) هناك حاجة الى ايجاد وحدة وطنية شاملة تتميز بالعملية والموضوعية تستند على المساواة وتعمل على تحقيق الحرية والولاء الوطني والتجرد التام من كل انواع التعصب , وتخلق شروط انسجام متنامي للعلاقات الاجتماعية بما يرسى قيم الانتماء والولاء الى الوطن الواحد والانتماء الى الجماعة الوطنية الواحدة والهوية المشتركة على حساب الولاءات المحلية والطائفية والقبلية وغيرها.

المبحث الثاني: تنمية الثقافة السياسية واثرها في الوحدة الوطنية:

بعد تكوين الدولة الوطنية او الحكومة الوطنية سيحتاج الشعب الى وسائل عديدة لبناء الشرعية , وهنا تكون الثقافة السياسية من اهم مصادر تلك الشرعية ومن اهم مقومات برنامج الدولة الوطنية.(الخيري,٢٠٠٤,١٤٨) وعند ذلك يكون من الضروري البدء بتنفيذ او فهم واستيعاب وظائف او مهمات الثقافة السياسية لتعزيز وحدة الدولة الوطنية , وتندرج تلك الوظائف تحت معرفة طبيعة البناءات السياسية التي ستساعد على فهم مكونات وعناصر البناء السياسي لأي مجتمع فضلاً عن ذلك ستعمل على تخليص العلاقة بين المواطنين والسلطة السياسية , وتنمية الوعي الثقافي والسياسي للفرد العراقي لسماع افكاره والتعبير عن رأيه , وتنمية المؤسسات التي تستقبل وتستوعب كل هذه الآراء والثقافات وصهرها في مصلحة الثقافة السياسية المعززة والمطورة للوحدة الوطنية والاستقلال السياسي , اي اعطاء دور للمثقف العراقي وفتح الافاق الواسعة لهذا الدور للتعبير عنه من خلال المشاركة السياسية , وبذلك سيكون قد شارك من خلال ثقافته السياسية في تعزيز الوحدة الوطنية.

المطلب الاول: معنى الثقافة السياسية:

لقد تم طرح العديد من التعريفات التي تناولت الثقافة في معناها الواسع والشامل والعام لتحديد مفهومها وطبيعتها ومداها وبدءاً من الضروري معرفة ماهيتها اللغوية , فتعني "الحق فيقال ثقاف اي حذقه وفهمه بسرعة".(عبد الدائم,٢٠٠٠,٤٣) اما المعنى المفاهيمي او العلمي لها فقد تنوعت الطروحات حولها فتعريفها في ابسط معانيها هي "مجموع عناصر الحياة واشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات" وهي عند ابن خلدون تعني (العمران) ومفهومه شامل يتناول الحياة الاجتماعية بكاملها ويضم مختلف اشكالها والوانها على حد قول (قسطنطين زريق) الذي

يرى حديثه عن الثقافة الصحيحة وعناصرها في كتابه الوعي القومي " ان الثقافة تتألف من عنصرين اساسيين اولهما معرفة صحيحة يكتسبها المرء بالجهد العقلي تتحقق من خلال اطلاع شامل متوازن على الفكرة الاساسية التي تقوم عليها العلوم والفنون والاداب , ومن علم متخصص متعمق في وجه من وجوه هذه الثقافة العامة والعنصر الاخر هو تلك القوى العقلية والروحية التي بها يكتسب المرء المعرفة ويجعلها قسماً من نفسه وشخصيته , وان هذا الاكتساب لأي عضواً دون بذل معاناة بل بجهد نفسي يتطلب صفات روحية وعقلية خاصة لا تتم الثقافة بدونها". اما التعريف الذي ساد في سبعينات القرن التاسع عشر فقد اعتبر الثقافة مجموعة المعارف والمعتقدات التي يكتسبها الانسان كعضو في مجتمع ما, وبشكل عام اذا كان معنى الثقافة كمفهوم تقليدي هي النتاج الادبي والفكري والفني فإنه بالامكان تعريفها بشكل محدد كذلك ففي المعنى الانثروبولوجي تعني انماط السلوك المادية والمعنوية السائدة في مجتمع من المجتمعات والتي تميزه عن سواه. وفي العقود الاخيرة توسع معنى الثقافة لتشمل كل النشاطات والمشروعات والقيم المشتركة التي تكون اساس الرغبة في الحياة المشتركة لدى امة من الامم , والتي ينبثق منها تراث مشترك من الصلات المادية والروحية عبر الزمان ويغدو في الذاكرة الفردية والجماعية اراثاً ثقافياً بالمعنى الواسع لهذه الكلمة والتي تبنى على اساسه مشاعر الانتماء والتضامن والمصير الواحد.(عمارة,١٩٧٨,٩٩) وعليه تشمل الثقافة كل ما يسود المجتمع من عادات وتقاليده ونظم معيشية فمن الممكن ان تقوم الحياة الاجتماعية في اي مجتمع بدون مرور فترة طويلة تتوحد خلالها مشاعر الافراد واذواقهم وتتشابه ميولهم لغتهم وتاريخهم وتشارك طرقهم المعيشية وتتكون امالهم وامانيهم حول اهداف مشتركة يمكن تحقيقها بوسائل محددة مما يفضي الى تكوين ثقافة عامة وموحدة للمجتمع بكل افراده وجماعاته توحد مشاعرهم وتحقق تماسكهم وتضامنهم , فوحدة الثقافة ترتكز على تاريخ طويل تعيشه الاجيال في ظل ثقافة واحدة ونظم محددة.(الخيرى,٢٠٠٤,١١٢) وايضاً تؤخذ على انها توجه اي طريقة النظر الى الاشياء اما عامة في طبيعتها او تكون مرتكزة على جانب محدد مما يحيط بالمرء , فهي اذاً تثير البعد النفسي في حياة الفرد لمعرفة ما يشعر وكيف يفكر بالرموز والمؤسسات والقواعد التي تكون النظام السياسي , وكيف يستجيب , وكيف تؤثر الروابط التي بينه وبين النظام السياسي على سلوكه. اما الثقافة السياسية على مستوى النظام فالمقصود بها "الموقف من النظام السياسي القائم في مجتمع ما والعناصر الاساسية التي تتكون منها , فهي تعني وسائل اندماج وتلاحم بين الافراد ضمن النظام قائمة على اساس التوجهات الثقافية السياسية المتماثلة والمتناسقة بالنسبة الى المؤسسات السياسية فهي تتعلق عموماً بما يعتقد الشعب ازاء البنى والمؤسسات السياسية. وهذا التعريف يوجب معرفة العناصر التي تقوم عليها او المقومات التي ترتكز عليها والتي يتحدد من خلالها مواقف الافراد تجاه العمل السياسي وهذه المقومات هي : العناصر الادراكية التي تشتمل المعرفة اي كل معلومات الفرد حول السياسة , والعناصر العاطفية هي العواطف والمشاعر تجاه العمل السياسي ومؤسساته سواء كانت نحو الانجذاب والتعاطف والتطور والاعجاب او الرفض اي بين مع او ضد النظام بشكل يتم التعبير عنه بموقف معين , وهناك العناصر التقييمية التي تشمل القيم والمعتقدات والمبادئ والمثل العليا والايديولوجيات التي تؤثر بلا شك على السلوك السياسي في تحديد مواقف الافراد تجاه العمل السياسي ومدى التزامهم او ابتعادهم عن تلك القيم".(عبد الدائم,٢٠٠٠,١٢٠)

المطلب الثاني : تعزيز الوحدة الوطنية بين الفيدرالية والمركزية :

تتحدد ماهية الفيدرالية بدلالة كونها شكل من اشكال السلطة السياسية يقوم على اساس توزيع وظائف السلطة دون تركيزها بيد فرد او اقلية حيث ان السياسة هي "فن ادارة الشأن العام".(فياض,٢٠٠٨,١١٣) وتتكون النظم الفيدرالية بطريقتين : الاولى: طريقة اتحاد دولتين او اكثر وفي هذه الحالة فان الدول التي كانت مستقلة وتدخل الاتحاد الفيدرالي تفقد شخصيتها القانونية الدولية المستقلة.

الثانية: طريقة تفكك دولة مركزية موحدة وإعادة الاتحاد بين بعض او بين اقاليم هذه الدولة ليصبح هذا الاتحاد بشكل دولة فيدرالية بعد ان كانت دولة مركزية موحدة. ونقول من حيث المبدأ ان الفيدرالية تقوم على شرطينهما الشرط الاول: ان تقوم الفيدرالية على معايير جغرافية اقليمية وليس على اساس معايير قومية عنصرية ولا دينية ولا طائفية. الشرط الثاني: ان تكون ديمقراطية المشاركة وليس ديمقراطية التأييد هي اساس ممارسة السلطة الفيدرالية وسلطات الاقاليم المحلية. ان الفيدرالية تقوم على شروط لا تتعارض مع الوحدة الوطنية العراقية بقدر ماتخدم وتجسد هذه الوحدة فالدولة الفيدرالية التي يقوم جيشها على المحاصصة القومية والطائفية لا تخدم الوحدة الوطنية, والدولة الفيدرالية التي يقوم برلمانها الفيدرالي على اساس المحاصصة القومية والطائفية لاتخدم الوحدة الوطنية والدولة الفيدرالية التي تقوم اجهزة امنها وشرطتها وبقية اجهزة السلطة التنفيذية الفيدرالية فيها (الوزارة الفيدرالية مثلاً) على اساس المحاصصة لا تخدم الوحدة الوطنية اذ انها لاتصان بالمركزية القسرية ولا بالفيدرالية القائمة على اساس قومي عنصري او ديني طائفي بل انها تصان بالديمقراطية الحقيقية اي ديمقراطية المشاركة. وان القاسم المشترك لعدم الخشية من الفيدرالية هو عدم الخوف على الوحدة الوطنية يتمثل بالديمقراطية , وان منطلق هذه الديمقراطية يتمثل بالمواطنة أولاً واخيراً اما القانون الذي يحكم هذه الديمقراطية

فأنه يتوجب ان يسود العراق الديمقراطي قانون يصنع ب(رأي الاغلبية ورضا الاقلية) ففي كل المؤسسات التمثيلية الفيدرالية والمحلية في كل العراق شمالاً ووسطاً وجنوباً قد تكون الاغلبية كردية والاقلية عربية او تركمانية كما في بعض المحافظات الشمالية (السليمانية ,اربيل, دهوك) وقد لا تكون الاغلبية مطلقة لقومية على اخرى كما في محافظة كركوك وقد تكون الاغلبية شيعية والاقلية سنية في محافظة او اكثر من محافظات العراق الوسطى والجنوبية وقد تكون الاغلبية سنية والاقلية شيعية في محافظات عراقية اخرى فلا ضرر ولا خوف من هذه الاغليات والاقليات لان السيادة في العراق الفيدرالي ستكون فقط لديمقراطية مشاركة منطلقها (حق المواطنة اولاً واخيراً وقانونها مصنوع برأي الاغلبية ورضا الاقلية). (ادريس, ٢٠٠٧, ٣٥) ولما كانت الديمقراطية شرطاً لازماً لكل من الوحدة الوطنية والفيدرالية فأن هذا الشرط اللازم يفترض ان يكون السيد المهيمن في الدستور الامر الذي يقتضي بالنتيجة الى تعديل الدستور بما يضمن هيمنة وسيادة هذا الشرط اي شرط الديمقراطية , وان فتح مغاليق مستقبل العراق يحتاج الى مفتاح مناسب وهذا المفتاح يتمثل بأنقادنا اساساً بالدستور الذي يعد بمثابة معطيات مهمة ما بعد الانتخابات العراقية للجمعية الوطنية من جهة وما بعد الاستفتاء الدستوري من جهة ثانية.

المبحث الثالث: الوحدة الوطنية العراقية والتطلعات:

ينبغي القول ان الوحدة الوطنية تعني في ابسط تعاريفها , "الرغبة في العيش المشترك من لدن اكثرية السكان الذين يقطنون اقليماً جغرافياً محدداً مع تفاهمهم النسبي على سلطة سياسية تتدبر امورهم وشؤونهم العامة وفقاً لمعايير سياسية وقانونية. ولا يهم بعد ذلك ان يكون شكل الحكومة جمهورياً او ملكياً او رئاسياً ام برلمانياً كما لا يتغير من الامر شيئاً ان يكون شكل الدولة بسيطاً ام مركباً مركزياً ام لا مركزياً". (بغدادى, ٢٠٠٤, ٥) والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف نحافظ على وحدة العراق وفي الوقت نفسه نحافظ على حقوق جميع مكونات القومية والدينية؟ ان هذه ليست بالمهمة الشاقة اذا خلصت النوايا وتكافقت الجهود على طريق تعميق الشعور الوطني وانطوى الجميع تحت لواء الوطنية , دون ان يعني ذلك اهمال الانتماءات الفرعية المحلية , فالولاء ينبغي ان يكون للوطن وليس للانتماء الفرع. والوطنية ينبغي ان لا تكون للوطن وليس للانتماء الفرعي. والوطنية ينبغي ان لا تكون مجرد شعار تتغنى به الاحزاب والجمعيات السياسية او هيئات المجتمع المدني او القوى المختلفة , وانما ينبغي ان يكون برنامج عمل جاد وشاق فالوحدة الوطنية لا تبنى على النوايا وانما على العمل والاخلاص وانه ما دام الوطن للجميع ينبغي ان يكون للجميع للوطن.

المطلب الاول: نموذج مقترح لتحقيق الوحدة الوطنية العراقية:

ان بناء الوند الوطنية لا يتحقق الا من خلال وسائل التغيير الاجتماعي التي تتمثل في الدولة والمؤسسات التعليمية والاحزاب السياسية والتصنيع ومن ثم صهر العناصر السكانية بطوائفها المختلفة في وحدة اجتماعية وتنظيمها في نظام سياسي معين واحتوائها في هيئات ومؤسسات الدولة. ومن اجل تفاعل وديناميكية المجتمع مع هذه الوسائل يجب ان يتوفر لها الجو الملائم , اذ يمكن التغلب على العراقيل التي تقف حائلاً دون التطور , وذلك عن طريق اطلاق الحريات العامة والانتخابات الحرة وحرية الصحافة وغيرها. فكلما كان المجتمع السياسي وبالتحديد النظام السياسي اكثر انفتاحاً وعقلانية في طريق معالجة مشكلات التعددية على قاعدة المساواة والديمقراطية واحترام الرأي الاخر وبناء المؤسسات القادرة على التغيير الاجتماعي المستمر, ذلك ادى الى الاستقرار والامان واكثر بناء وتحصيناً للوحدة الوطنية, وعلى العكس من ذلك كلما افتقد المجتمع السياسي للقدرة الحركية والتغيير اتجه نحو الانغلاق والتعصب والانعزال وتعثر في بناء الاطر الجامعية صعب عليه استيعاب الاثار السياسية المترتبة على التعددية المجتمعية. (الدليمي, ٢٠٠٤, ٧٥) ونظراً الى احوال التجزئة والاحوال الاقتصادية المتباينة التي خلفتها التجزئة واوضاع التجزئة في مجتمعنا العربي وخاصة العراق, من فقر ومرض وتختلف من حيث تعدد الانظمة ووجود طبقات اجتماعية ذي مصالح متباينة , فضلاً عن وجود فئات اجتماعية متعددة يعتنقون مبادئ وافكار وعقائد مختلفة , نجد كل فئة من الفئات السابقة الذكر تعبر عن مصالحها وفكرها ومواقفها في الشؤون العامة للمواطن عن طريق حزبها , وان تعدد الاجتهاد في طريقة معالجة شؤون البلاد يفترض تعدد الاحزاب وقيام الحوار بين مختلف الفصائل والاحزاب السياسية ذات الاجتهادات والاراء والمواقف المختلفة, وذلك من اجل توحيد الصف والهدف من اجل استعادة السيادة الكاملة للعراق وخروج المحتل , وهذا لا يتم الا بقيام تكتل سياسي يتفق عليه نخبة في درجة عالية من النضوج والوعي السياسي والشعور بالمسؤولية والحس الوطني والديني والقومي ليكون ممثلاً للشريحة التي يتبنى قضيتها ومعبر عن رأيها ولديهم القدرة والكفاءة على ادماجها مع المصلحة الوطنية العامة, وان هذه النخبة وهيئة المؤسسين والرواد والاولئل ليسوا اشخاصاً عاديين, وانما هم القادة السياسيون والاجتماعيون واصحاب الحل والعقد, وقد قادوا فصائل المجتمع في بناء الدولة وتوجيهها توجيهاً صحيحاً على وفق معايير العدالة والمساواة والحرية والوحدة الوطنية. (شنين, ١٩٤٨, ٩٥) وعلى الشعب العراقي ان يبدأ في مرحلة ما بعد الاحتلال بأوضاع جديدة واشراك عدد اكبر من العراقيين في ادارة شؤون بلادهم واعادة الاستقرار

والتعاون الى ربوع الوطن وذلك بالدعوة الى الاسراع في تشكيل هيئة وطنية للمصالحة الوطنية الشاملة بين كل فصائل الاحزاب الحاكمة والمعارضة لها من اجل بناء عراق ديمقراطي حر متكامل ومتسامح عن طريق الاحترام المتبادل وصيانة حقوق وكرامة الانسان فضلاً عن الحقوق القومية للكلور والتركمان والكرد والاشوريين. ان التسامح في الاسلام مع غير المسلمين قد تأتي من التصور العام الذي احاطه الاسلام بحقوق الانسان على مبدأ المساواة بين الافراد والجماعات في الحقوق والواجبات دون تمييز بينهم على اساس الجنس او اللون او الدين, فالانسان عند الله سبحانه وتعالى له مكانة عالية من التقدير ووضع له في هذه الارض ما يليق بكرامته ومكانته وبالشكل الذي يجعله قادراً على اداء المسألة المكلف بها, اما فيما يتعلق بحق العدالة والمساواة , " فقد جعل الاسلام لغير المسلمين من اهل الكتاب والديانات الاخرى, حرمة في ارواحهم واعراضهم واموالهم فالاسلام لا يميز بين انسان واخر, سواء في العرق ام الجنس ام النسب ام الجاه وذلك عملاً بقول الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) في احدى خطبه (ياايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد لا فضل لعربي على اعجمي ولا اعجمي على عربي ولا اسود على احمر ولا احمر على اسود الا بالتقوى الا هل بلغت) وان عظمة التجربة الاسلامية في هذا الميدان تمثلت في توحيدها لاقوام مختلفة". (الدليمي, ٢٠٠٤, ٦٠) نرى ان الموروث العربي الاسلامي الحضاري الذي عالج مشاكل التعدد والتمايز المجتمعي بروح انسانية وحفظ لنا مجتمعنا العربي متماسكاً لقرون طويلة, وهذا الدواء الشافي لحل كل مشاكلنا فضياع هذا الموروث هو الذي ادى الى عدم حل المشاكل واتجهت النخبة الحاكمة نحو السلطوية والدكتاتورية وقمع حقوق الانسان وحرياته العامة ومن ثم تدخل القوى الخارجية وتحالفها مع النظام السياسي القائم من اجل البقاء الواقع العربي الحالي على ما هو عليه من تشتت بعيداً عن كل مظهر من مظاهر الوحدة.

المطلب الثاني: الوحدة الوطنية العراقية الواقع والافاق:

ان المجتمع العراقي يكاد ينطوي على متلازمين اساسيين هما الاسلام واللغة العربية بالاضافة الى غيرها من التوصيات وهي عناصر وحدة وانسجام فالاسلام اقر بالوحدة كما اقر بالتنوع , فمثلاً امن الاسلام بأن المسلمين بل المؤمنين اخوة , فأنه احترم التنوع الانساني ولم يجعل لقوم او عرق او جماعة افضلية على اخرى , وعليه فأن ما يوجد بين العراقيين وما يجمع بينهم هو اكثر مما يفوق لاسيما وان اكثرية العراقيين ومن خلال التجربة والعيش المشترك على ارض الرافدين المعطاء وعبر تاريخ موغل في القدم تؤمن وتقر بضرورة استمرار الوحدة الوطنية العراقية بين ابناء المجتمع العراقي دون ان يعني ذلك تجاهل او اهمال التنوع الايجابي الذي يتسم به المجتمع العراقي , وهو تنوع ينطبق عليه (الوحدة في اطار التنوع , او التنوع في اطار الوحدة). ومما يدعم هذا الهدف او هذه الحالة , ان العراقيين عاشوا تاريخهم الطويل في الاعم الاغلب وانسجام اذ لم يعرف انهم دخلوا في نزاع داخلي او حرب اهلية على الرغم من كثرة ما شهدته تاريخ العراق من حروب ونزاعات اقليمية ودولية.(البغدادى, ٢٠٠٤, ٥). ان هذه الشواهد لا تدل على وجود قواسم مشتركة بين العراقيين حسب اللغة او الديانة او المصالح المشتركة او الارث التاريخي المشترك والتقاليد المشتركة او مجمل عناصر الثقافة الوطنية المشتركة او الحضارة العراقية ذات العراقة والاصالة المتمثلة بالارث الاكدي, البابلي, الاشوري, العباسي وانما هذا هو الاله في وجود رغبة مشتركة بين العراقيين جميعاً في العيش المشترك, وهي رغبة غير مبنية على العاطفة او الشعور فقط وانما هي مزيج من هذه وتلك مضافاً اليها وجود حقيقة بين العراقيين , وهي حقيقة لاتخفى على اللبيب او الحنق, تتمثل اندماج العراقيين بعضهم مع البعض الاخر, ولا نعني بهذا الامتزاج والتفاعل عبر الواج والمصاهرة ما اكثر هذا النمط من التفاعل بين العراقيين حسب او عبر التعامل الاقتصادي والنشاط الوظيفي الذي وصل مرحلة من التشابك والتلاحم الى درجة لا يمكن معها فصله فضلاً عن الاندماج النفسي_الاجتماعي بين العراقيين جميعاً وهو نشأ بفعل العيش التاريخي المشترك حول النهرين من ايام سومر وحتى يومنا هذا, وهو عيش ادى الى تكوين مزاج نفسي مشترك وقيم مشتركة وسلوكيات وردود افعال مشتركة تجاه الكثير من القضايا والظواهر.وقد اثبتت الايام والشهور الاخيرة وهي ايام لم يشهد لها تاريخ العراق او المنطقة مثيلاً صحة ما ذهبنا اليه, اذ حافظ العراقيين على وحدتهم واندماجهم , بل حافظوا وهذا هو الاله على رغبتهم بالوحدة والاندماج في كيان واحد ودولة واحدة ومجتمع واحد.(استيل, ٢٠٠٠, ٢٥). وعليه نقول ان مقومات الوحدة الوطنية العراقية على الرغم من المتغيرات الكثيرة , على الصعيدين الداخلي والخارجي, التي تسعى للنيل منها بقت قوية ومتماسكة وصامدة.مع ذلك فأن بقاء هذه الوحدة قوية وراسخة لا يمكن ان يستمر اعتماداً على ماتحقق في الماضي البعيد او اعتماداً على الاماني والامنيات في الحاضر, وانما يعتمد بقاء هذه الوحدة على العمل من لدن جميع العراقيين للحفاظ على هذه الوحدة وهو عمل لا يقتصر على الساسة او المثقفين حسب وانما على العامة ايضاً لان الوحدة الوطنية العراقية بتنوعها الايجابي ذي الالوان الجميلة المتقاربة , مسألة تهتم جميع العراقيين لان العراق وطن الجميع دون تمييز بين مواطن واخر, والوحدة التي يأمل الجميع بأن تبقى راسخة هي الوحدة التي تؤمن بالتنوع, شأنها في ذلك شأن الثوب الجميل بالوان زاهية كل لون فيه يضيف عليه مزيداً من التماسق والجمال. او بتعبير اخر هي كطيف الشمس الجميل الذي يتكون من عدة الوان لكنها من فرط اندماجها وانسجامها لا يكاد يرى منها

اي لون الا مرورها في موشور زجاجي عندها تظهر تلك الالوان, لكنها في الطبيعة لوناً واحداً , لوناً ذهبياً, هو لون الحياة نتمنى ان يكون العراقيين جميعاً قلباً واحداً, بلد واحد ومجتمع واحد.(البغدادي,٢٠٠٤,٤٥).

الذاتة:

من اجل بناء المجتمع العراقي واستعادة مصداقيته يجب وضع خطى سريعة في بناء الوحدة المنشودة بعمل مخطط له وبحوار مفتوح مع جميع الاطراف السياسية سواء المشاركة في الحكم منها ام المعارضة داخل العراق وخارجه يسبقها مصالحه وطنية بجميع الاطراف لتجاوز هذه المرحلة الحرجة من تاريخ العراق المعاصر , وان تلغى كل خصوصية تتعارض مع اطار الوحدة الوطنية, وتجعلها مهددة ومعرضة للانهايار في المستقبل. ومن خلال هذا البحث نتوصل الى كيفية بناء وحدة وطنية في ظل الاقليات والطوائف المتعددة الموحدة في العراق , ونسعى الى بناء عراق جديد وقيام دولة وطنية موحدة خالية من التعدد والتشتت وذلك من اجل مواكبة التقدم والازدهار والنهوض من اجل بناء وحدة وطنية عراقية.

المصادر:

- ١- البغدادي , عبد السلام ابراهيم , ١٩٩٠, الوحدة الوطنية ومشكلة الاقليات في افريقيا, جامعة بغداد, كلية العلوم السياسية.
- ٢- البغدادي , عبد السلام ابراهيم , ٢٠٠٤ , الوحدة الوطنية العراقية واقع وفاق , عدد ٦ , العراق_بغداد , اصضاء دولية.
- ٣- البغدادي , عبد السلام ابراهيم , ٢٠٠٤, الوحدة الوطنية العراقية بين التصفيات والتطلعات , العدد ١٣٩, العراق_بغداد , اوراق دولية.
- ٤- الدليمي, محمد فيحان موسى , ٢٠٠٤, التعددية الحزبية والوحدة الوطنية في العراق الجديد, الجامعة المستنصرية , المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية.
- ٥- الخيري, نوار محمد ربيع , ٢٠٠٤ , تنمية الثقافة السياسية واثرها في تعزيز الوحدة الوطنية , العدد ١٥, العراق_بغداد , دراسات وبحوث الوطن العربي.
- ٦- الصالحي, سهاد عادل احمد محمود , ٢٠٠٥ , الاقليات والوحدة الوطنية في العراق المعاصر , الجامعة المستنصرية , المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية.
- ٧- العزاوي , وصال نجيب , ١٩٩٦, الاقليات في ظل البيئة الدولية الجديدة, العدد ٧٠٦, مجلة شؤون سياسية.
- ٨- الدائم , عبد الله عبد , ٢٠٠٠, مستقبل الثقافة العربية والتحديات التي تواجهها, العدد ٢٦٠, بيروت_لبنان, مركز دراسات الوحدة العربية.
- ٩- ادريس , محمد السعيد , ٢٠٠٧, ثقافة المواطنة, العدد ٩, العراق_بغداد , المواطنة والتعايش.
- ١٠- الدوري , عبد العزيز , ١٩٨٥, التكوين والهوية , العدد ٤٣, مجلة شؤون عربية.
- ١١- استيل , ديفيد , ٢٠٠٠, استراتيجيات المصالحة في العراق, العدد ١٥٧ , لبنان , المستقبل العربي.
- ١٢- جواد , سعد ناجي , ١٩٨٨, مسألة الاقليات في الوطن العربي واثرها على الامن القومي, العدد ٢ , مجلة العلوم السياسية.
- ١٣- فياض , عامر حسن , ٢٠٠٨ , الوحدة الوطنية العربية بين الفدرالية والمركزية العدد ٨ , العراق_بغداد , المجلة السياسية والدولية.
- ١٤- شنين, ستار نوري , ١٩٤٨ , الجيش وبناء الوحدة الوطنية في العالم الثالث , جامعة بغداد , كلية القانون والسياسة.
- ١٥- عمارة , محمد , ١٩٧٨ , وجهها لوجه الطائفة الدينية والوحدة القومية , العدد ٣ , مجلة المستقبل العربي.
- ١٦- غليون , برهان , ١٩٧٩ , المسألة الطائفية ومشكلة الاقليات , بيروت , دار الطليعة للطباعة والنشر.

Sources:

- 1- Albaghdadi, Abd alsalam Ibrahim, 1990, National unity and the problem of minorities in africa, University of baghdad, Faculty of political sciences.
- 2- Albaghdady , Abd alsalam Ibrahim , 2004 ,Iraqi National unity reality and prospects , Number 6 , Iraq_baghdad , International echoes.
- 3- Albaghdady , Abd alsalam abrahym , 2004 ,Iraqi National unity between purges and aspirations , Number 139 , Iraq_baghdad , International papers.
- 4- Aldilmy, mohamad fayhan musaa, 2004, altaeadudiat alhizbia walwahdat alwatania in new iraq, almustansiriya university, higher institute for political and international studies.
- 5- alkhairi, nawar mohamad rabie, 2004, developing political culture and its impact on strengthening national unity, number15, Iraq_baghdad, studies and research in the arab world.
- 6- alsalehi, suhad adel ahmed mahmoud ,2005 , minorities and national unity in contemporary iraq, alnustansiriya university, arab world studies and research.

- 7- alazzawi , wisal najib , 1996, minorities in the new international environment, number 706, political affairs magazine.
- 8- permanent , abdullah abd, 2000, the future of arab culture and the challenges it faces, number 260, beirut_ lebanon, center for arab unity studies.
- 9- Idris , mohamad alsaeed , 2007, citizenship culture, number 9, Iraq_ baghdad , citizenship and coexistence.
- 10- aldawry , Abdulaziz , 1985, formation and identity, number 43, arab affairs journal.
- 11- Steele , David , 2000 , Reconciliation strategies in Iraq, number 157 , Lebanon , Arab future.
- 12- Jawad, Saad Naji, 1988, The issue of minorities in the arab world and its impact on national security, number 2, Journal of political science.
- 13- Fayyad , Amer Hassan, 2008 , Arab National unity between federalism and centralism , number 8 , Iraq_ baghdad , Political and international journal.
- 14- Shanin, Sattar Nouri , 1948 , The army and building national unity in the third world , University of baghdad , College of law and politics.
- 15- Amara , Mohamed , 1978 , Face to face: religious sectarianism and national unity , number 3 , Al_ Arabi magazine.
- 16- Ghalioun , Burhan , 1979 , The sectarian question and the problem of minorities , Beirut , Dar Al_ Talia for printing and publishing.